

## (تذكر أن) مختارات العقيدة الطحاوية الدرس الثالث

- "والأول والآخر والظاهر والباطن" هذه الأسماء تدل على الإحاطة الزمانية، والإحاطة المكانية، وأن الله -تبارك وتعالى- محيطٌ بكل شيء، ولهذا قال الله -تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]، فهو -عز وجل- المحيط بكل شيء علماً وقُدرةً، ورحمةً، وقهراً.
- هذان الاسمان "القديم والدائم"، لم يردا في الكتاب والسنة.
- أهل العلم يقولون: باب الخبر أوسع من باب الوصف، فيمكن للإنسان أن يُخبر عن الله -تبارك وتعالى- لا على جهة الوصف، وإنما على جهة الخبر، فباب الإخبار أوسع من باب الصِّفات، كما أنَّ باب الصِّفات أوسع من باب الأسماء. ما معنى هذه القاعدة؟
- باب الصِّفات أوسع من باب الأسماء. من جهة أن الصِّفات مصادرها أوسع، فتؤخذ الصِّفة من الفعل، وتؤخذ الصِّفة من الاسم، أو يُنصُّ على الصِّفة، بينما الأسماء توقيفية، ولا تُشتق، أمَّا الصِّفات فتُشتق من الأفعال، وتُشتق من الأسماء، أو يُنصُّ عليها، فباب الصِّفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الصِّفات.
- ما لم يرد فيه نصٌّ بنفي ولا إثبات من الأسماء والصِّفات، فإن أهل العلم يتوقفون في الألفاظ، ويستفصلون في المعاني.
- القِدَم نوعان:
- ❖ قِدَم مُطلق.
  - ❖ قِدَم نسبي.
- القدم النسبي يكون بين المخلوقات، فتقول: هذا المخلوق قديم، نسبة لما قبله، كما قال الله -تبارك وتعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، هذا العُرجون قديم بالنسبة إلى ما قبله، هذا يسمونه القِدَم النسبي الذي يكون بين المخلوقات، فيقال: هذا الشيء قديم بالنسبة لما قبله، بينما الخالق -عز وجل- يوصف بالقِدَم المطلق، الذي ليس قبله شيء، ولهذا لاحظوا النَّبي -صلى الله عليه وسلم- كيف فسَّر "الأول" الذي ليس قبله شيء، ففسَّر الصِّفة الثبوتية بالنفي المطلق، أي الذي ليس قبله شيء، وقال: «الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»<sup>١</sup>، فيوصف بالقِدَم المطلق.
- هل ثمة فرق بين الفناء والبيد؟
- والجواب: هما معنيان متقاربان، الفناء دلَّ عليه قول الله -تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، والبيد دلَّ عليه قوله -تبارك وتعالى- في خبر المنكر للبعث: ﴿مَا أَظُنُّ

<sup>١</sup> تفسير القرآن لابن كثير (٣١/٨).

﴿أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]، ولهذا قال لك: (لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ) تأكيداً لمعنى قوله: (دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ)، وهذه المعاني كلها يدل عليها قوله صلى الله عليه وسلم: «الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ».

المشيئة هي مُرادفة للإرادة الكونية، والإرادة والقضاء والإذن؛ هذه الصِّفات تنقسم إلى قسمين بحسب هذا الجدول.

❖ **القسم الأول:** الإرادة الكونية، أو القدرية، أو الخلقية.

❖ **القسم الثاني:** الإرادة الدينية، أو الشرعية، وهي المتعلقة بالأمر والنهي.

□ **مثال الإرادة الكونية:** قوله -تبارك وتعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وهذا الذي قصده المؤلف -رحمه الله- بقوله: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

□ **مثال الإرادة الشرعية:** كقوله -تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، المشيئة هي المرادفة للإرادة الكونية، أمّا الإرادة الشرعية هي متعلقة بالأحكام الشرعية.

الإرادة الكونية هذه عامة لكل ما يُحبه الله ويرضاه، وما لا يحبه ولا يرضاه.

➤ **كيف يريد أشياء كوناً وهو لا يحبها ولا يرضاهما شرعاً؟**

والجواب نقول: أرادها -تبارك وتعالى- لحكمة وابتلاء، ولهذا لا يلزم من الإرادة الكونية أن تكون محبوبة لله، فقد يريد أشياء وإن كان لا يحبها ولا يرضاهما لحكمة، والله -عز وجل- هو الحكيم في خلقه، حكيم في قدره، حكيم في أمره ونهيه.

أمّا الإرادة الشرعية فيلزم منها المحبة والرضا، فهي المحبوبة لله، وأوامره محبوبة له -تبارك وتعالى- وكذلك ترك نواهيه محبوب لله -تبارك وتعالى-.

➤ **الإرادة الكونية يلزم منها الوقوع، فلا بد أن تقع، وهي متعلقة بالقدر، أمّا الإرادة الشرعية، فلا يلزم منها الوقوع.**

➤ **التفريق بين الإرادتين مهم، وتزول به إشكالات كثيرة؛ لأن من جعل الإرادة واحدة ضلّ في باب القدر، وهذا هو سبب ضلال "الجبرية".**

➤ **أمّا سبب ضلال "القدرية" هو عدم التفريق بين الإرادتين.**

➤ **ولهذا لما فرّق أهل السُّنة بين الإرادتين زال الإشكال، وكما تقدّم لنا في باب الأسماء والصِّفات، لما غلب المعطلة النّفي، وقعوا في إشكالات كثيرة، ولما غلب المُمثلة الإثبات، وقعوا في إشكالات كثيرة، وأهل السُّنة جمعوا بين النّفي والإثبات فزال الإشكالات عنهم التي وقع فيها المعطلة، ووقع فيها المُمثلة المشبهة المجسّمة.**

➤ **هاتان الإرادتان قد تجتمعان وقد تفرقان، ولهذا يُقسّمها أهل العلم على طريقة السّر والتّقسيم إلى أربعة أقسام، فيقولون:**

❖ **إرادة كونية شرعية.**

❖ **إرادة كونية لا شرعية.**

❖ **إرادة شرعية لا كونية.**

## ❖ إرادة لا شرعية ولا كونية.

- ❑ مثال الإرادة الكونية الشرعية: كإيمان أبي بكر رضي الله عنه.
- ❑ مثال إرادة كونية وقعت ولكنها غير محبوبة لله، مثل: كفر أبي جهل.
- ❑ مثال إرادة شرعية لا كونية: مثل إيمان أبي جهل، وإيمان أبي طالب.
- ❑ مثال إرادة لا شرعية ولا كونية: مثل: كفر أبي بكر. فهي لم تقع كونا بحمد الله، وكذلك غير محبوبة لله شرعاً.

## ➤ القدرة على نوعين:

❖ **النوع الأول:** القدرة الأوائل أتباع معبد الجني وغيلان اليمشيقي، الذين نفوا مراتب القدر الأربعة، نفوا علم الله بأفعال العباد، ونفوا كتابته لأفعال العباد، ونفوا مشيئته وخلقته، ولكن هل يعني هذا أنهم نفوا العلم المطلق والكتابة المطلقة والمشيئة المطلقة والخلق المطلق؟

❖ **النوع الثاني:** ثم جاء بعدهم القدرة الثانية وهم المعتزلة، أثبتوا علم الله بأفعال العباد، وأثبتوا كتابته لأفعال العباد، ولكنهم قاموا بنفي المشيئة والخلق.

➤ في بعض كتب المتكلمين يقولون: كل ما خطر ببالك عن الله فإن الله بخلاف ذلك. فهل هذه العبارة مستقيمة؟ والجواب: مثل هذه العبارات عبارات مجملة تحتل معاني صحيحة، وتحتل معاني باطلة.

➤ أهل السنة يثبتون المعاني، ويفوضون الكيف، كما قال الإمام مالك -رحمه الله- لما سُئل عن الاستواء، قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

➤ كيف يُعالج ما يُوقعه الشيطان في بعض نفوس الناس من هذه الخيالات والأوهام التي ترد عليهم في صفات الرب -تبارك وتعالى؟

قد جاء في الصحيحين أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سأله فقالوا: "إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به"، يعني: مثل هذه الخواطر والوساوس التي ترد على بعض الناس قد اشتكى منها الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَقَدْ وَجَدْتُموه؟» يعني إنكار القلوب وتعاظم القلوب من أن تتكلم بهذا. قالوا: نعم -وهو الإنكار- قال: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»<sup>٢</sup>.

➤ العلاج لهذه الأوهام والوساوس التي ترد على بعض النفوس، والتي يُوردها الشيطان بالذات فيما يتعلق بصفات الرب -تبارك وتعالى-، فنقول: العلاج كما دلّت عليه هذه الأحاديث:

❖ **أولاً:** الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

❖ **ثانياً:** ينتهي عن الاسترسال.

❖ **ثالثاً:** ضبط النفس بذكر الله -تبارك وتعالى- وعدم الاستمرار في هذه الوسواس.

❖ **رابعاً:** الانشغال بالعبادة، ومن ذلك الانشغال بذكر الله والاستغفار.

❖ **خامساً:** اللجوء إلى الله بالدعاء والمعاذة من هذه الوسواس.

<sup>٢</sup> صحيح مسلم (١٣٢).